

بلاغة البناء الزمني في الخطاب الروائي العربي قراءة في (عمارة يعقوبيان) لـ علاء الأسواني

أ.يوسف بكوش
أ.منصور بويش
جامعة سيدي بلعباس
جامعة وهران 1

مدخل:

إنّ الزمن عنصر مهم ومميّز في دراسة النصوص القصصية، ليس باعتبارها شكلا تعبيريا قائما على سرد أحداث تقع في الزمن فقط، وليس لأنّها فعل تلفظي يُخضع الأحداث المروية لتوال زمني، وإنما لكونها تداخل وتفاعل بين مستويات زمنية متعددة ومختلفة.¹ وأهمية الزمن من حيث هو مكوّن لا تتوقف فقط عند الحدّ الذي يجعلنا نلتفت لوجوده الدائم في مراحل تكوين الأنواع الأدبية وتلقيها عموما، بل إنّ له موقعه المهم داخل البنى الأدبية، خاصة السردية منها، ذلك الموقع الذي يصل أحيانا إلى مرتبة الصدارة، حيث يعد أحد أهم مكونات السرد.² وقد أشار هنري جيمس إلى صعوبة تناول عنصر الزمن وأهميته في البناء القصصي، واعتبره الجانب الأكثر صعوبة وخطورة؛ إذ يستدعي عناية فائقة من القاص.³ يقتضي الحديث عن الزمن ضرورة ربطه بعنصر آخر ملازم له وهو المكان، فالعلاقة التي تربط الزمن بالمكان هي علاقة تكامل، فكل منهما يكمل الآخر، ومن ثم لا وجود لأحدهما دون الآخر؛ بمعنى أنّ هذه العلاقة أساسية لأنّها تشخص جدلية في الحياة، وتشخص جدلية الواقع الروائي في حد ذاته. وقد يستحيل تناول أحدهما بمعزل عن الآخر، وإن سمحنا لأنفسنا بهذا الأمر، فإنّما يكون ذلك على المستوى الإجرائي لا غير.⁴ وعندما نتحدث عن المكان، تتبادر إلى أذهاننا مباشرة كلمة زمن، وكأنّ الثاني يكمل الأول، والأول لا يستغني عن الثاني، حتى أنّ الدراسات الحديثة اختصرتهما في كلمة واحدة هي الزمكان، على الرغم من أنّ المكان يدرك إدراكا حسيا مباشرا، والزمن يدرك إدراكا غير مباشر، من خلال فعله في الأشياء. فهما عنصران يتدخلان تدخلًا مباشرا ومتكاملا في شخصيات القصة وأحداثها.⁵ ولأن تعددت الإسهامات في تحليل الزمن السردية، وتوضيح إشكاليته، فإننا سنقتصر في دراستنا على النظرية البنيوية المتمركزة في التقسيم الثلاثي الذي وضعه جيرار جينيت Gérard Genette لدراسة الزمن، والمتمثل في الترتيب والديمومة والتواتر، حيث يقول في كتابه: " سندرس العلاقة بين زمن القصة وزمن الحكاية"⁶ (الكاذب) طبقا لما يبدو لي تحديات أساسية ثلاثة هي: الصلات بين الترتيب الزمني لتتابع الأحداث في القصة، والترتيب الزمني للكاذب لتنظيمها في الحكاية... والصلات بين المدة المتغيرة لهذه الأحداث أو المقاطع القصصية و المدة الكاذبة (في الواقع طول النص) لروايتها في الحكاية، وأعني صلات السرعة... وأخيرا صلات التواتر أي - بعبارة تقريبية فقط - العلاقات بين قدرات تكرار القصة وقدرات تكرار الحكاية..."⁷ حيث نجد في هذا الموضوع يحدد القضايا الثلاثة الكبرى لدراسة البنية الزمنية للخطاب السردية، والتي يقدم توافرها بلاغة جمالية على البناء الزمني للخطاب الروائي على وجه الخصوص.

أ) الترتيب (النظام) الزمني (L'ordre temporel):

عدّ جيرار جينيت الثنائية الزمنية التي تكشف عن التعارض بين زمن القصة وزمن السرد (زمن الخطاب)، أهم ما يميّز السرد الأدبي، من ناحية مستويات إعداده الجمالي، عن غيره من الأنواع السردية الأخرى كالسرد الشفوي وسرد الأفلام.⁸ حيث إنّ دراسة النظام الزمني لقصة ما، هو مقارنة ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردية بنظام ترتيب هذه الأحداث في الحكاية (كما جرت)، وتستدعي هذه المقارنة وجود نقطة تكون نقطة الصفر التي يتفق فيها الزمان، وغالبا ما تكون هذه النقطة هي نقطة انطلاق رواية الأحداث، وإذا كان الترتيب القصصي واضحا، فإنّ الأمر لا

يختلف بالنسبة للترتيب الزمني، إذ إن الإشارات الدالة على الزمن كقيلة بتوضيح غوامضه. ولا يمكن أن يتحد النظامان أو يتفقا، إلا إذا كان ترتيب الأحداث في القصة موافقا لترتيبها في الخطاب، فأما الاختلاف فيأخذ صورتين؛ فهو إما رجوع إلى الوراء أي تأخر في السرد بالنسبة للتطور الزمني للحدث، أو استباق لهذا التطور، أي تقدم في السرد على حساب التسلسل الزمني.⁹ وهاتان الصورتان ما يصطلح عليهما بالاسترجاع والاستباق.

1) زمن القصة وزمن السرد/الخطاب Temps de l'histoire et temps du narration

يقصد بزمن القصة ذلك الترتيب الطبيعي والمنطقي الذي تخضع له الأحداث، والذي عادة ما يرتبط بزمن وقوعها. ففي (عمارة يعقوبيان) لعلاء الأسواني¹⁰ يتحدد زمن القصة بين 1934 وهو تاريخ بناء هاجوب يعقوبيان لعمارة تحمل اسمه - باعتبار أن السارد قدّم لنا هذا الحدث - و بداية التسعينيات مع حرب الخليج 1990 - وهو ما تزامن مع المظاهرات الطلابية التي شارك فيها طه الشاذلي وموته بعدها - وصولا إلى 2002 وهو نقطة نهاية الأحداث. لنلاحظ أن زمن القصة انحصر في هذه الفترة التي عاشها أبطال الرواية مواكبين أحداثها.

أما عن زمن الخطاب فهو زمن السرد أي زمن تقدم الأحداث والذي لا يتقيد بترتيبها المنطقي التسلسلي، فيتلاعب بترتيب الأحداث، وزمن الخطاب زمن متأخر عن زمن القصة، إذ تكون الأحداث قد اكتملت بشكل نهائي، ما يتيح للسارد - أو الكاتب الذي يوظف ساردا - إمكانيات التلاعب في تقديمها. وهنا تجدر الإشارة إلى ذلك الترتيب الخطابي الذي تميزت به (عمارة يعقوبيان) والذي تميّز بتجزئة الأحداث إلى مقاطع متفرقة لكنها في نفس الوقت تسرد في شكل خطي، ما جعل الرواية في زمن خطابها تحترم كثيرا زمن القصة، وساعد على هذا التوظيف المتكرر للمشاهد والحوارات. حيث إننا إذا أمعنا ملاحظة ترتيب الأحداث في خطاب هذه الرواية سنصل إلى أن السارد سار على نحو محدد في تقديم الأحداث؛ إذ يقدم الحدث ويقطعه ثم يبدأ حدثا جديدا ويقطعه ثم يبدأ حدثا ثالثا أو يعود لمواصلة الحدث الأول.

1أ ← 1ب ← 1ج ← 2أ ← 2 ← 1 ← 2 ← 3أ ← 2د

على أن الأحداث أ.ب.ج... تقسم إلى أجزاء أو مقاطع سردية 3.2.1... وُزعت على الخطاب في ترتيبات متباينة. وكما اشرنا ينتج عن اختلاف ترتيب الزمنين (زمن القصة وزمن الخطاب) ما يعرف بالاسترجاع والاستباق، أو كما يصطلح عليهما معا بالمفارقات الزمنية.

2-1) الاسترجاع La Rétrospection

يعد الاسترجاع من أهم قضايا الزمن والسرد عموما، لأنّ السارد وهو يقدم القصة يبنينا على استرجاع القصة كاملة أو على معظمها ومن ثم يقوم بعملية انتقال للأحداث وترتيبها.¹¹ والاسترجاع يستحضر في الذهن ما هو متعارف عليه بالفلاش باك (flashback) وذلك عندما يتم توقف تقدم القصة من اجل تقديم شيء هو سابق زمنيا.¹² فالمقصود بالاسترجاع استحضار حدث كان قد جرى سابقا، فيتم إعادته إلى السرد، كما هو في الفقرة التالية " .. لكنها من ناحية أخرى لم يعد بإمكانها التراجع، ولم تعد تحتل شعورها بالإثم فبدأت تقاومه بضراوة. أخذت تتذكر وجه أمها وهي تخبرها بأنها تخدم في البيوت، وتستعيد كلمات فيفي عن الدنيا وكيف تسير.¹³ حيث استرجعت بثينة أحداثا وقعت معها سابقا، منها كلام والدتها وحديثها مع صديقتها.

2-2) الاستباق: L'Anticipation

وهو معكوس الاسترجاع؛ أي التوقف في مسار الحكيم من أجل تقديم أحداث سوف تحدث مستقبلا.¹⁴ حيث يتعرف القارئ على وقائع قبل حدوثها الطبيعي في زمن القصة¹⁵. بمعنى تقديم حدث لم يبلغه السرد بعد، أي من المفترض أنه

سيحدث لاحقاً. فيقدمه لنا السارد قبل أوانه. كما هو واضح في هذا الموضع من الرواية " كان الأب راقداً على السرير في جلبابه الأبيض، وقد سكن جسده تماماً واكتسى وجهه بلون أزرق كآبي. وعندما أحضروا طبيب الإسعاف (وكان شاباً مرتبكاً) كشف عليه بسرعة، ثم أعلن النبأ الحزين. فتصاعدت صرخات البنات، وراحت أمهن تلطم وجهها بقوة حتى سقطت على الأرض، كانت بثينة في ذلك الوقت تلميذة في دبلوم التجارة، وكانت لديها أحلامها للمستقبل التي لا تشك لحظة في إمكانية تحقيقها، ستخرج وتتزوج من حبيبها طه الشاذلي بعد تخرجه في كلية الشرطة، سيسكنان شقة فسيحة لائقة بعيداً عن السطح، سيكتفیان بولد وبنت حتى يتمكننا من تربيتهما. كانا متفقين على كل شيء لكن الأب مات فجأة وانقضت فترة الحداد لترك الأسرة في العراق." ¹⁶ حيث نلاحظ هنا كيف تجاوز السرد حدث وفاة الوالد قافزاً إلى ما كانت تحلم به بثينة للمستقبل.

(ب) الديمومة (المدة) La Durée:

تختلف طبيعة النص الروائي من حيث العلاقة بين الزمن والمقاطع التي تعطي هذه الفترة، ومدى التطابق بينهما، علماً أن التطابق الكامل لا وجود له في الواقع، وأن الزمن الطبيعي لوقوع الأحداث، لا يُذكر في كلمات النص، ليستطيع الباحث أن يتبين نسبته الصحيحة، فلا شك أن تقديم فترة زمنية قصيرة في عدد كبير من الصفحات يؤدي إلى إيقاع مختلف عن معالجة فترة زمنية طويلة ممتدة في بضعة أسطر، فإذا طالت الديمومة في السرد قصرت في الحقيقة. والديمومة هي تلك العلاقة التي تربط بين زمن القصة الذي يقاس بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور، وطول النص القصصي الذي يقاس بالأسطر والصفحات الجمل والفقرات، مما يقودنا إلى استقصاء السرعة والتغيرات التي تطرأ على نسقه. ¹⁷ فإذا كانت العلاقة بين الأحداث في القصة وتسلسلها في الخطاب ممكنة التحديد، فإن الأمر يختلف بالنسبة للعلاقة بين الفترات التي تستغرقها الأحداث في القصة وتلك تقابلها في الخطاب، لأن فترة الخطاب مستحيلة القياس، ما هي في الواقع سوى الفترة التي تستغرقها قراءة نص الرواية، وهي فترة تختلف من شخص إلى آخر. ويعود سبب استحالة القياس إلى عدم وجود نقطة مرجعية تكون بمثابة الدرجة الصفر أو نقطة التطابق بين الفترة الحقيقية والفترة المتخيلة. ¹⁸ وهذا التفاوت يشكل لنا مفهوم سرعة السرد

سرعة السرد:

يعتمد تحديد العلاقة بين القصة والخطاب على قياس سرعة السرد، وهي سرعة متغيرة وغير قارة، لأن القصة لا يمكن أن تكون خالية من آثار الإيقاع الزمني؛ فالسارد يهتم ببعض الفترات دون غيرها، فيطبخ في تفصيل بعض الأحداث والمشاهد، بينما يسرد البعض الآخر بإيجاز، وقد يقطع من الزمن الحكائي أحداثاً بأكملها، دون أن يكلف نفسه عناء الإشارة إلى هذا الاقتران، فالسرد في حركته يأخذ أشكالاً متعددة. ¹⁹ حيث حدد جيرار جينيت هذه الأشكال، تمكنا من معرفة سرعة الأحداث من خلال المدة التي يستغرقها سرداً بالمقارنة مع الأحداث في مدة وقوعها الحقيقية، بمعنى أن تقديم السارد للحدث القصصي قد يسرع أو يبطئ من حيث المدة. وتتخذ السرعة السردية حسب جينيت أربعة أشكال اثنان منهما للتسريع، واثنان للتبطيء.

(1) الخلاصة Le Sommaire:

وتعتمد الخلاصة في الحكوي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، يتم اختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل. ²⁰ وهي من أشكال تسريع السرد، حيث تصبح مدة السرد (الخطاب) أصغر من مدة القصة، (م س > م ق). ²¹ وفي (عمارة يعقوبيان) تتجسد الخلاصة في بعض المواضع منها: " ومنذ

الوهلة الأولى أدرك الفرائش أفسخرون أبعاد الموقف، بعد عشرين عاما من العمل مع زكي بك، أصبح أفسخرون يفهم أحواله بنظرة واحدة..²² فقد تم تلخيص فترة كاملة مدتها عشرين سنة في جملة واحدة.

(2) الحذف: L'ellipse:

ويسميه البعض بالقطع، وهو من أشكال تسريع السرد، وهو تجاوز فترة زمنية كاملة دون أي إشارة إليها.²³ ويكتفى عادة بالقول "مررت سنوات" أو "بعد زمن طويل...ألخ".²⁴ فهو بتر مرحلة كاملة من السرد، تتم الإشارة إليها دون الخوض في الأحداث الواقعة خلالها، أو حتى تقديم ملخص لها. وقد يعود إليها السارد فيما بعد، وهنا يتم تسريع السرد (م س > م ق). كما هو متجمل في الفقرة هذه " .. المسنون في شارع سليمان باشا يذكرونه وهو جالس على الأرض وأمامه صندوق خشبي صغير حيث بدأ بتلميع الأحذية، وعمل فترة كفراش في مكتبة بابيك، ثم اختفي بعد ذلك أكثر من عشرين عاما وظهر فجأة وقد حقق الثروة."²⁵ فقد حذف السارد فترة كاملة من قصة الحاج محمد عزام دون أن يخبرنا بما جرى خلالها.

(3) المشهد Le Scène

يقصد بالمشهد المقطع الحواري الذي يمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد مع زمن القصة، من حيث المدة الزمنية. وإن كان الناقد البنيوي جيران جينيت ينبه إلى أنه ينبغي دائما أن لا نغفل أن الحوار الواقعي الذي يمكن أن يدور بين أشخاص معينين، قد يكون بطيئا أو سريعا، حسب طبيعة الظروف المحيطة، كما أنه ينبغي مراعاة لحظات الصمت أو التكرار. مما يجعل الاحتفاظ بالفرق بين زمن حوار السرد وزمن حوار القصة قائما على الدوام.²⁶ فالمشهد يشكل بؤرة الحدث القصصي، وفيه يتم تبطؤ السرد ليتساوى مع الحدث القصصي (م س = م ق). والمشهد أكثر تقنية تصادفنا أثناء قراءة الرواية، لأنه يتضمن الحوار، ومن المشاهد في (عمارة يعقوبيان) هذا الذي نرى فيه طه الشاذلي وهو يقف أمام لجنة الامتحان لالتحاق بكلية الشرطة " .. وبدا الرضا واضحا على وجوه الممتحنين حتى أن اللواء الرئيس هز رأسه مرتين مؤمنا على إجابة طه ثم تكلم لأول مرة فسأل طه ماذا يفعل إذا ذهب إلى القبض على أحد المجرمين فوجده أحد أصدقائه من أيام الطفولة ..؟ كان السؤال متوقعا لطفه وقد أعد إجابته لكنه تظاهر بالتفكير قليلا ليضعف التأثير على الممتحنين ثم قال:

- يا فندم سيادتك الواجب لا يعرف أصحاب أو أقارب، رجل الشرطة مثل الجندي في المعركة عليه أن يؤدي واجبه بغض النظر عن أي اعتبار آخر.. في سبيل الله والوطن.

ابتسم اللواء وهز رأسه في إعجاب صريح وصاد صمت ما قبل النهاية وتوقع طه أن يصدر الأمر بالانصراف لكن اللواء الرئيس حذق فجأة في الأوراق وكأنه اكتشف شيئا حتى أنه رفع الورقة قليلا ليتأكد مما قرأ ثم سأل طه وهو يتحاشى النظر إلى عينيه :

- أنت والدك مهنته إيه يا طه ؟

- موظف يا فندم

تفحص اللواء الأوراق من جديد وسأله:

- موظف.. أم حارس عقار ؟

سكت طه لحظة ثم قال بصوت خافت:

- والدي حارس عقار يا فندم.

ابتسم اللواء الرئيس وبان عليه الحرج ثم انحى على الأوراق وسجل شيئاً بعناية ورفع رأسه بنفس الابتسامة وقال :
- شكرا يا بني.. انصرف. " ²⁷ يمثل هذا المشهد المقتضب بؤرة القصة لأنه كان منعطفاً في حياة طه الشاذلي، ذلك الشاب الذي كان يتمنى الالتحاق بكلية الشرطة، فرفض لأن والده حارس عقار. ومن هنا تغيرت كل حياته وأصبح يكره النظام أشد الكره. إن التأمل في هذا المشهد يلاحظ ببطء السرد الذي تساوى إلى حد كبير مع الحدث كما وقع والفضل يعود إلى الحوار.

4) الوقفة La Pause:

الوقفة شكل آخر من أشكال تعطيل السرد زبطينه، فهي تشترك في صفة التبطيء مع المشهد، كونهما يشغلان على حساب الزمن الذي تستغرقه الأحداث، وذلك بتعطيل زمن السرد وتعليق مجرى القصة. ²⁸ وتحدث الوقفة عندما ينتقل السارد إلى الوصف الذي يقتضي قطيعة في السيرورة الزمنية فيعطل حركتها. ²⁹ فتتوقف عجلة الأحداث عند نقطة معينة، ليعود إليها لاحقاً، وهنا تصبح مدة الخطاب أكبر من مدة القصة (م س < م ق). وفي (عمارة يعقوبيان) تعددت الوقفات لدواع مختلفة كالوصف والتشويق والانتقال من حدث إلى آخر. والوقفة تتجسد في هذا المقطع

" في عام 1934 فكر المليونير هاجوب يعقوبيان، عميد الجالية الأرمنية في مصر آنذاك، في إنشاء عمارة سكنية تحمل اسمه فتخيّر لها أهم موقع في شارع سليمان باشا وتعاقد على بنائها مع مكتب هندسي إيطالي شهير وضع لها تصميمًا جميلًا: عشرة أدوار شاهقة من الطراز الأوروبي الكلاسيكي الفخم: الشرفات مزدانة بتماثيل إغريقية منحوتة على الحجر والأعمدة والدرجات والممرات كلها بالرخام الطبيعي والمصعد ماركة شنلدر على أحدث طراز. استمرت أعمال البناء عامين كاملين خرجت بعدها تحفة معمارية لدرجة تجاوزت كل توقع. ³⁰ فنلاحظ في هذا المقطع توقيف السرد واللجوء إلى الوصف التوضيحي لتقريب شكل العمارة إلى ذهن القارئ. ³¹

ج) التواتر السردى La Fréquence narrative :

يقصد بالتواتر في السرد مجموع علاقات التكرار بين القصة والخطاب. ³² حيث يحصي جيرار جينيت أربع حالات للتواتر فقد يسرد الخطاب مرة واحدة ما حدث مرة واحدة، أو أكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة، أو أكثر من مرة ما حدث مرة واحدة، أو مرة واحدة ما حدث أكثر من مرة. ³³ وهو مقولة تقع ضمن إطار البحث في زمنية القصص، على الرغم من وقوع الاختلاف في عدّ التواتر مقولة زمنية أم أسلوبية، على اعتبار التواتر هو علاقات التكرار بين القصة والخطاب وهذا التكرار أو التواتر ذو طابع زمني وعددي أيضاً، لذا أكد جينيت على عده مظهراً من المظاهر الأساسية لزمن السرد، ولا يمنع ذلك من أن يكون مظهراً أسلوبياً، يكشف عن دلالات مخصوصة موضوعية أو ذاتية نفسية، من خلال التقلب على المحاور الأربعة - المذكورة - علاقات التواتر في السرد. ³⁴

في هذا المستوى تتم دراسة تكرارات الأحداث، المعبر عنها في الخطاب، ويمكن - كما أشرنا سابقاً - تحددتها في أربعة أوجه هي :

1 - ما يحدث عدة مرات ويعبر عنه مرة واحدة: كما هو في هذا المقطع " في المساء قبل أن يأوي إلى فراشه يعد أبسخرتون نقوده مرتين بعناية ثم يخرج القلم الكوبية الصغير الذي يضعه دائماً تحت أذنه ويكتب رصيد مكسبه وي طرح منه جزء الادخار.. ³⁵ فهذا الحدث وقع مرارا وتكرارا في حين تم ذكره والتعبير عنه في الخطاب مرة واحدة.

2 - ما يحدث عدة مرات ويعبر عنه عدة مرات، كالتقاءات الجنسية التي كانت تجمع بثينة بطلال، فهي حدث تكرر أكثر من مرة وتم ذكره في السرد أكثر من مرة " .. في اليوم الثالث لجيئها كانت ساعة العصر، والحل خال من الزبائن

وطلب منها طلال أن تصحبه إلى المخزن لكي يشرح لها أنواع البضاعة، تبعته بثينة صامته ولحت ظل ضحكة ساحرة على وجهه فيفي وبقيّة البنات، كان المخزن عبارة عن شقة كبيرة في الدور الأرضي بالعمارة المجاورة لمحل الأمريكيين في شارع سليمان باشا، أدخلها طلال وأغلق الباب من الداخل وتلفتت حولها، كان المكان رطباً سيء الإضاءة والتهوية ومتكدساً بصناديق البضاعة المتراسة حتى السقف، وكانت تدرك ما هي مقدمة عليه، وقد استعدت في طريقها إلى المخزن، فراحت تستعيد في ذهنها كلمات أمها: أخوتك في حاجة لكل قرش، والبنات الشاطرة تحافظ على نفسها وعملها معاً، وحين اقترب منها الأستاذ طلال انتابتها مشاعر قوية ومتضاربة، العزم على أن تحسن استخدام الفرصة المتاحة، والخوف الذي كان برغم كل شيء يعتصرها، ويجعلها تلهث وتشعر بما يشبه الغثيان. كان هناك أيضاً فضول خفي يلح على ذهنها كي تعرف كيف يتصرف الأستاذ طلال معها، هل يغازلها ويقول لها أحبك مثلاً، أم يحاول تقبيلها مباشرة؟ وجاءتها الإجابة سريعاً فقد انقض عليها طلال من الخلف، احتضنها بقوة المتها...³⁶ هذا المقطع يعبر عن المرة الأولى التي ذهبت فيها بثينة مع طلال إلى المخزن، وتكرر الذهاب ليتكرر ذكر الحدث في أكثر من موضع، كما هو في "الحق أن بثينة لم تترحم أبداً إلى ملاك، ولم تستطع أيضاً أن تصدّه لأنّها تمر أمامه كل يوم ولأنه جارهم ولأنّه يتحدث إليها بأدب مما يقطع عليها فرصة مهاجمته كما أنّها استسلمت للحديث معه أساساً، لأنّ شيئاً كاشفاً نافذاً في سلوكه معها يجعلها تدعن.. كان يحدثها في أي موضوع بينما نيرة صوته ونظراته تصل إليها وتقول: لا تتظاهري بالاستقامة فقد عرفت كل شيء. هذه الرسالة غير المنطوقة ظلت تتضح وتقوى حتى تساءلت في نفسها إن كان طلال قد أفشى سر علاقتهما...³⁷ ويتم ذكر الحدث مرة أخرى في قوله "دفنت إلى الأبد الإحساس بالإثم الذي كان ينتابها وهي تتعري أمام طلال... ثم تمد يدها لتقبض الثمن عشرة جنيهات."³⁸ وهكذا يتكرر ذكر الحدث في مواضع مختلفة.

3 - ما يحدث مرة واحدة ويعبر عنه عدة مرات: خير مثال عن هذا النوع من التواتر يتجلى في تعذيب طه في قسم الشرطة، فهو حدث جرى مرة واحدة لكنه تكرر عدة مرات في السرد، وهذا ما يجعله حدثاً مهماً بصفة قوية على مجرى القصة، كما يتجلى في " .. وكأنّها كلمة السر ما إن نطق بها الضابط حتى انهالت الضربات من كل اتجاه على طه ثم ألقوا به منكفئاً على الأرض، وبدأت أكثر من يد تكشف جلبابه وتنتزع عنه ملابسه... وقاومهم بكل قوته لكنهم تكاثروا عليه وثبتوا جسده بأيديهم وأقدامهم، وامتدت يدان غليظتان... فأخذ يصرخ.. صرخ بأعلى صوته. صرخ حتى شعر بجنجرتة تتمزق.³⁹ يمثل هذا المقطع سرداً للحدث وتعبيراً عنه ساعة حدوثه. ليتم ذكره وإعادةه إلى السرد أكثر من مرة، مثل يلاحظ في قوله "وكان طه ينتظر كلمة الشيخ ليفرج عن أحزانه فقال بصوت أجش:

- لقد أذلوني يا مولانا لدرجة أنني أحسست أنّ كلاب الشوارع عندها كرامة أكثر منّي، تعرضت إلى أشياء لم أكن أتصور أنّ مسلماً يفعلها أبداً .

- ليسوا مسلمين بل هم كفار بإجماع الفقهاء.

- حتى ولو كانوا كفار.. أوليس لديهم ذرة من الرحمة؟.. أليس لديهم أولاد وبنات وزوجات يحبونهم ويشفقون عليهم؟ لو أنّي اعتقلت في إسرائيل لما فعل اليهود بي ذلك...⁴⁰ وقبل نهاية الرواية أعيد ذكر الحدث "تقدم طه إلى الضابط وسأله بصوت جهد كي يبدو طبيعياً:

- من فضلك يا أستاذ رقم 10 من شارع عاكف في أي ناحية؟

لم يتوقف الضابط، أشار إليه بتعال، وتمتم وهو يتقدم ناحية السيارة:

- الناحية دي..

كان هو.. هو الذي أشرف على تعذيبه، الذي أمر الجنود بضربه وتمزيق جلده بالسياط.... هو دون أدنى شك..⁴¹ فهي تكرارات لما وقع مرة واحدة.

4 - ما يحدث مرة واحدة ويعبر عنه مرة واحدة: مثل الشجار الذي حدث بين حاتم الرشيد وعبد ربه والذي انتهى بمقتل حاتم، ويتمظهر في الفقرة التالية " .. ظل عبده واقفا في وسط الحجرة حتى استجمع الأمر في ذهنه ثم أصدر صوتا غليظا أشبه بمشركة حيوان متوحش غاضب وانقض على حاتم يركله ويلكمه بيديه وقدميه ثم أمسك برقبته وأخذ يضرب رأسه في الجدار بكل قوة حتى أحسّ بدمه ينبثق حارا لزجا على يديه. "⁴² فهذا حدث جرى مرة واحدة وقدم لنا في الخطاب مرة واحدة.

خاتمة:

في ختام هذه القراءة نخلص إلى القول إن الزمن يمثل أهم مكونات البناء السردي، حيث يكسب الخطاب الروائي بلاغة وجمالية تتمظهران في القدرة على تجاوز النظام الزمني الطبيعي للأحداث والوقائع، والتلاعب في ترتيبها وتسلسلها، فتخلق بذلك أكثر من احتمال لتقديم الحدث القصصي الواحد داخل مبنى الخطاب الروائي، وهذا بفضل تقنياتي الاسترجاع والاستباق. كما تتيح أشكال سرعة السرد (الخلاصة والحذف والمشهد والوقف) إمكانية تبطؤ سرد الحدث داخل المتن الروائي أو تسريعه، بالمقارنة مع مدته الطبيعية. في حين تسمع شساعة الرقعة الخطابية لجنس الرواية بممارسة التواتر السردية، حيث يتم تكرار الأحداث وفق الوجوه الأربعة للتواتر.

الهوامش:

¹ عبد العال بوطيب: إشكالية الزمن في النص السردية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع 12، صيف 1993، ص

120

² هيثم الحاج علي: آليات بناء الزمن في القصة القصيرة المصرية في الستينيات، ص 41

³ ينظر سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، ص 26

⁴ لحسن كرومي: حركية الزمان وجدليات المكان في رواية الزلزال، قراءة سيميائية، مجلة إبداع (إلكترونية)، جمعية رضا حوحو،

بشار، ع3، 1998

⁵ أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنوية لنفوس نائرة، ص 30

⁶ المقصود بالحكاية هو الخطاب الذي سنتحدث عنه في عنصر الترتيب، حيث نعتمده في دراستنا لأننا وجدناه في الطبعة الأصلية باللغة الفرنسية Discours، وفي بعض الدراسات وجدناه تحت اسم سرد، في حين أن جيرار جينيت يفرق بين المصطلحات الثلاثة (قصة، خطاب، سرد) ويجعلها مكونات لمسمى واحد هو المحكي Le Récit.

⁷ جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ص 46 - 47

⁸ Voir Gerard Genette: Figures III, pp 77 - 78

⁹ إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية، رواية جهاد المحيين لجورجي زيدان نموذجاً، ص 45

¹⁰ علاء الأسواني من مواليد 26 ماي 1957. محصر، وهو طبيب أسنان وروائي لامع حققت روايته (عمارة يعقوبيان) نجاحاً كبيراً، فترجمت إلى عدة لغات وحولت إلى مسلسل تلفزيوني وفيلم سينمائي، وله أيضاً مجموعتان قصصيتان (الذي اقترب ورأى) و(جمعة منتظري الزعيم)

¹¹ ينظر هيثم الحاج علي: آليات بناء الزمن في القصة القصيرة المصرية في الستينيات، ص 115

- ¹² وائل سيد عبد الرحيم سليمان: تلقي البنيوية في النقد العربي، نقد السرديات نموذجاً، ص 119
- ¹³ علاء الأسواني، عمارة يعقوبيان، ص 67
- ¹⁴ وائل سيد عبد الرحيم سليمان: تلقي البنيوية في النقد العربي، ص 121
- ¹⁵ حميد حميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص 74
- ¹⁶ علاء الأسواني: عمارة يعقوبيان، ص 59
- ¹⁷ حكيمة بوقرومة: منطق السرد في سورة الكهف، ص 116
- ¹⁸ إبراهيم صحراوي: تحليل الخطاب الأدبي، ص 71
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص 72
- ²⁰ حميد حميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص 76
- ²¹ سنتعامل مع الرموز على النحو الآتي: (م س) تعني مدة السرد، في حين تعني (م ق) مدة القصة، (<) أكبر، و (>) أصغر.
- ²² علاء الأسواني عمارة يعقوبيان، ص 16
- ²³ عمر عبد الواحد: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة، ص 143
- ²⁴ حميد حميداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص 77
- ²⁵ علاء الأسواني: عمارة يعقوبيان، ص 71
- ²⁶ حميد حميداني: بنية النص السردى، ص 78
- ²⁷ علاء الأسواني: عمارة يعقوبيان، ص 82 – 83
- ²⁸ حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء – الزمن – الشخصية، ص 175
- ²⁹ Gérard Genette; Figures III, p94
- ³⁰ علاء الأسواني: عمارة يعقوبيان، ص 20 – 21
- ³¹ يميز نقاد السرديات بين نوعين للوصف؛ الوصف التفسيري التوضيحي الذي يقوم بوظيفة ما داخل الحكى، والوصف الجمالي التزييني الذي تنحصر غايته في تزيين شكل السرد.
- ³² Gérard Genette; Figures III, , p145
- ³³ Ipid, p 146
- ³⁴ ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات والوظائف والتقنيات، ص 232
- ³⁵ علاء الأسواني: عمارة يعقوبيان، ص 40
- ³⁶ المصدر نفسه، ص 65 – 66
- ³⁷ المصدر نفسه، ص 147
- ³⁸ المصدر نفسه، ص 225
- ³⁹ المصدر السابق، ص 216
- ⁴⁰ المصدر نفسه، ص 236
- ⁴¹ المصدر نفسه، ص 342
- ⁴² المصدر نفسه، ص 334
- قائمة المصادر والمراجع:
- الأسواني علاء: عمارة يعقوبيان، مكتبة مدبولي. مصر، ط1، يناير 2006.
- بحراوي حسن: بنية الشكل الروائي، الفضاء – الزمن – الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

- بوطيب عبد العال: إشكالية الزمن في النص السردى، (مجلة فصول) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع 12، صيف 1993.
- بوقرومة حكيم: منطلق السرد في سورة الكهف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.
- الحاج علي هيثم: آليات بناء الزمن في القصة القصيرة المصرية في الستينيات، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في النقد بإشراف أ.د صلاح السروي، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر، د.ت.
- جينيت جيرار: خطاب الحكاية. بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، القاهرة، ط2، 1997.
- ستار ناهضة: بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات والوظائف والتقنيات، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.
- سليمان وائل سيد عبد الرحيم: تلقي البنيوية في النقد العربي، نقد السرديات نموذجاً، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ - مصر، ط1، 2008.
- سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.
- صحراوي إبراهيم: تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، رواية جهاد المحبين لجورجي زيدان نموذجاً، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999.
- عبد الواحد عمر: بنية الخبر، دراسة في طوق الحمامة لابن حزم، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا (مصر)، 2004.
- عبود أوريدة: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.
- كرومي لحسن: حركية الزمان وجدليات المكان في رواية الزلزال، قراءة سيميائية، (مجلة إبداع إلكترونية)، جمعية رضا حوحو، بشار، ع3، 1998.
- حميداني حميد: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع. الدار البيضاء، ط3، 2000.
- Gérard Genette: Figures III, Ed Cérès, Tunis, 2^{ème} pub, 1993.